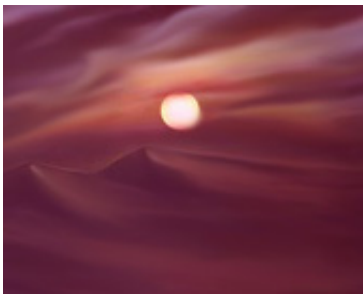


حديث : كن في الدنيا كأنك غريب

07:50:59 2007-02-06 | الشبكة الإسلامية



متن الحديث

عن **ابن عمر** رضي الله عنهما قال : أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنكبَيَّ فقال : **(كن في الدنيا كأنك غريب ، أو عابر سبيل)** ، وكان **ابن عمر** رضي الله عنهما يقول : " إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح ، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء ، وخذ من صحتك لمرضك ، ومن حياتك لموتك " رواه البخاري .

الشرح

عندما نتأمل في حقيقة هذه الدنيا ، نعلم أنها لم تكن يوماً دار إقامة ، أو موطن استقرار ، ولئن كان ظاهرها يوحي بنضارتها وجمالها ، إلا أن حقيقتها فانية ، ونعيمها زائل ، كالزهرة النضرة التي لا تلبث أن تذبل ويذهب بريقها .

تلك هي الدنيا التي غرت الناس ، وألهتهم عن آخرتهم ، فاتخذوها وطناً لهم ومحلاً لإقامتهم ، لا تصفو فيها سعادة ، ولا تدوم فيها راحة ، ولا يزال الناس في غمرة الدنيا يركضون ، وخلف حطامها يلهثون ، حتى إذا جاء أمر الله انكشف لهم حقيقة زيفها ، وتبين لهم أنهم كانوا يركضون وراء وهم لا حقيقة له ، وصدق الله العظيم إذ يقول : **{ وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور }** (آل عمران : 185) .

وما كان النبي صلى الله عليه وسلم ليترك أصحابه دون أن يبين لهم ما ينبغي أن يكون عليه حال المسلم في الدنيا ، ودون أن يحذرهم من الركوب إليها ؛ فهو الرحمة المهداة ، والناصح الأمين ، فكان يتخولهم بالموعة ، ويضرب لهم الأمثال ، ولذلك جاء هذا الحديث العظيم بيتاً وحجة ووصية خالدة .

لقد أخذ النبي صلى الله عليه وسلم بمنكبَيَّ **عبدالله بن عمر** رضي الله عنهما ؛ ليسترعي بذلك انتباهه ، ويجمع إليه فكره ، ويشعره بأهمية ما سيقوله له ، فانسابت تلك الكلمات إلى روحه مباشرة : **(كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل)** .

وانظر كيف شبه النبي صلى الله عليه وسلم مقام المؤمنين في الدنيا بحال الغريب ؛ فإنك لا تجد في الغريب ركونا إلى الأرض التي حل فيها أو أنسا بأهلها ، ولكنه مستوحش من مقامه ، دائم القلق ، لم يشغل نفسه بدنيا الناس ، بل اكتفى منها بالشيء اليسير .

لقد بين الحديث غربة المؤمن في هذه الدنيا ، والتي تقتضي منه التمسك بالدين ، ولزوم الاستقامة على منهج الله ، حتى وإن فسد الناس ، أو حادوا عن الطريق ؛ فصاحب الاستقامة له هدف يصبو إليه ، وسالك الطريق لا يوهنه عن مواصلة المسير تخاذل الناس ، أو إثارةهم للدعة والراحة ، وهذه هي حقيقة الغربة التي أشار إليها النبي صلى الله عليه وسلم في قوله :

(بدأ الإسلام غريباً وسيعود كما بدأ غريباً فطوبى للغرباء) رواه مسلم .

وإذا كان المسلم سالكاً لطريق الاستقامة ، حرص على قلّة مخالطة من كان قليل الورع ، ضعيف الديانة ، فيسلم بذلك من مساوئ الأخلاق الناشئة عن مجالسة بعض الناس كالحسد والغيبة ، وسوء الظن بالآخرين ، وغير ذلك مما جاء النهي عنه ، والتحذير منه . ولا يفهم مما سبق أن مخالطة الناس مذمومة بالجملة ، أو أن الأصل هو اعتزال الناس

ومجانبتهم ؛ فإن هذا مخالف لأصول الشريعة التي دعت إلى مخالطة الناس وتوثيق العلاقات بينهم ، يقول الله تعالى : **{ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا }** (الحجرات : 13) ، وقد جاء في الحديث الصحيح : **(المسلم إذا كان مخالطا للناس ويصبر على أذاهم خير من المسلم الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم)** رواه الترمذي ، ولنا في رسول الله أسوة حسنة حين كان يخالط الناس ولا يحتجب عنهم .
وإنما الضابط في هذه المسألة : أن يعتزل المرء مجالسة من يضره في دينه ، ويشغله عن آخرته ، بخلاف من كانت مجالسته ذكرا لله ، وتذكيرا بالآخرة ، وتوجيها إلى ما ينفع في الدنيا والآخرة .

ولنا عودة مع قول النبي صلى الله عليه وسلم : **(كأنك غريب ، أو عابر سبيل)** ، ففي هذه العبارة ترقُّ بحال المؤمن من حال الغريب إلى حال عابر السبيل ، فعابر السبيل : لا يأخذ من الزاد سوى ما يكفيه مؤونة الرحلة ، ويعينه على مواصلة السفر ، لا يقر له قرار ، ولا يشغله شيء عن مواصلة السفر ، حتى يصل إلى أرضه ووطنه .

يقول الإمام **داود الطائي** رحمه الله : " إنما الليل والنهار مراحل ينزلها الناس مرحلة مرحلة ، حتى ينتهي ذلك بهم إلى آخر سفرهم ، فإن استطعت أن تقدم في كل مرحلة زادا لما بين يديها فافعل ؛ فإن انقطاع السفر عما قريب ، والأمر أعجل من ذلك ، فتزود لسفرك ، واقض ما أنت قاض من أمرك " .

وهكذا يكون المؤمن ، مقبلا على ربه بالطاعات ، صارفا جهده ووقته وفكره في رضا الله سبحانه وتعالى ، لا تشغله دنياه عن آخرته ، قد وطن نفسه على الرحيل ، فاتخذ الدنيا مطية إلى الآخرة ، وأعد العدة للقاء ربه ، عن **أنس بن مالك** رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **(من كانت الآخرة همه ، جعل الله غناه في قلبه ، وجمع له شمله ، وأنته الدنيا وهي راغمة)** رواه الترمذي .

ذلك هو المعنى الذي أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يوصله إلى **عبدالله بن عمر** رضي الله عنهما ، فكان لهذا التوجيه النبوي أعظم الأثر في نفسه ، ويظهر ذلك جليا في سيرته رضي الله عنه ، فإنه ما كان ليطمئن إلى الدنيا أو يركن إليها ، بل إنه كان حريصا على اغتنام الأوقات ، كما نلمس ذلك في وصيته الخالدة عندما قال رضي الله عنه : " إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح ، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء ، وخذ من صحتك لمرضك ، ومن حياتك لموتك " .